الخطاب القرآني وآليات قراءته

أ. عبد الكريم حسين
جامعة عبد الرحمان ميرة ـ بجاية

يحتل الخطاب القرآني مساحة واسعة من تفكير الباحثين على اختلاف مشاربهم، قديماً وحديثاً، شرقاً وغرباً، وكانت أبحاثهم جميعاً تنصب على محاولة فهم الدلالة القرآنية. وقد لاحظ بعضهم أن تفسير القرآن تتعاوره ثلاثة اتجاهات هي: المنهجية الإسلامية الكلاسيكية، والمنهجية الاستشراقيةالفيلولوجية(1)، والمنهجية التي يقترحها هو نفسه(2)؛ وهذه المنهجية تعرف باسم الأنسنة؛ والتي هي«محاولة إرجاع النص الإلهي إلى نص إنساني »(3). ولكلٍّ ـ بطبيعة الحال ـ آلياته في التحليل، ومرجعيته الفكرية ومنظومته الثقافية.وتساؤلنا في هذا كله هو: من أين تنبع الدلالة في آيات القرآن الكريم؟ ومن الذي يحدد هذه الدلالة؟ وإلى أيّ مدى ينفتح النص القرآني على القراءات المتنوعة والمختلفة المتباينة؟ وهل يجب أن نوفّق بين قراءات القدامى وقراءات المحدثين في نظرتهم إلى دلالات آيات القرآن ومعانيه؟ وهل استنزفت آليات التحليل القديمة طاقتها في قراءة القرآن، فصرنا بحاجة ماسة إلى آليات جديدة أكثر قدرة على فهم النص القرآني في ضوء معطيات العصر المتجددة ؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه من خلال هذا العرض الذي يروم تحديد الآليات ذات النجاعة الكافية للاقتراب أكثر من الدلالة القرآنية. ولا نقصد بهذا الكلام استبدال الآليات القديمة بآليات حديثة من دون نظر ولا فحص، إنما نحاول النظر في كل تلك الآليات لكي نصل إلى معرفة أيّها أكثر قدرة على فك شفرة الدلالة القرآنية، دون إفراط ولا تفريط.

قراءة النص القرآني وتفسيره:

فضّلنا أن نسمي هذا العرض بقراءة القرآن وتفسيره، وهما مصطلحان ينتميان إلى عصرين مختلفين؛ الأول مصطلح حداثي جديد يتواتر في الدراسات النقدية عموماً، والثاني مصطلح أصولي يتواتر عند علماء المسلمين قديماً وحديثاً. ذلك أنّ الهدف والمنهج يختلفان فيهما، فإذا كان التفسير« علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك »(4).فإنّ القراءة في الاصطلاح المعاصر فهي« قراءة للبنى العميقة في النص، ومحاولة لتسويغ جمالياته، وإسهام في فك شفراته ورموزه »(5). والقراءة كذلك« حوار مفتوح مع النص... وتمتد إلى قراءات متصلة في اللسانيات والمناهج النقدية المختلفة... وهو حوار ينحو منحى التأويل »(6).

وفضلاً عن هذين المصطلحين؛ القراءة والتفسير، نجد مصطلحاً آخر يتكرر عند القدامى والمحدثين على السواء، هو مصطلح التأويل. ولكنه لم يدم طويلاً عند المفسرين، حتى استعاضوا عنه بمصطلح التفسير الذي شق طريقه بلا منازع حتى عصرنا هذا. أما في الدراسات النقدية المعاصرة، وفي نظرية القراءة على وجه التحديد، فإن لمصطلح "التأويل" مكانه الأساسي في قراءة النصوص المختلفة.

إنّ نقطة الافتراق بين القراءة التقليدية والقراءة المعاصرة للنصوص، هي قضية انفتاح النص، وعدم أسبقية المعنى على الملفوظ، ودور القارئ في صناعة معنى النص. والقراءة الحداثية المعاصرة للنصوص ترى أشياء جديدة لم ينظر إليها القدامى بهذا المعنى؛

المنارة للاستشارات

أو لم ينظّروا لها بشكل صريح؛ مثل الدلالة المغيّبة، والمسكوت عنه، ولانهائية المعنى، وأنواع القارئين، وموت المؤلف...إلخ.

ونبدأ حديثناوقراءتنا الخطاب القرآني برأي طريف للزركشي، إذيرى أن كل مَنْ كَتَبَ مِنَ البشر كتاباً، إنما كتبه ليُقرأ ويُفهم بذاته، لا ليشرحه غيرُ كاتبِه. وإنما يحتاج الناس إلى الشرح والتفسير لأسباب ثلاثة هي:

- قوة المؤلف العلمية وغزارة علمه، بحيث يعسر على القارئ فهم المراد بدقة، لاسيما إن كان اللفظ وجيزاً. ومن ثَمّ كان شرح المؤلف لكلامه أفضل من شروح غيره من الدارسين.

-بيان المحذوف من الكلام، لكونه معلوماً عند المؤلف، أو لأنه من علم آخر، فيأتي الشارح لتوضيحه، وإعادته إلى الظهور.

-احتمال اللفظ لمعان كثيرة، فيرجح الشارح أحدها على الآخر، بناء على معرفته للموضوع. وهنا تختلف شروحات الدارسين، كما تختلف فهومهم للنصوص[7].

إن هذا الملحظ، يدل دلالة كافية على تفطن الزركشي لعملية الكتابة والتأليف. وما الأسباب التي ذكرها لضرورة الشرح والتفسير، إلا دلالة أخرى على الفهم العميق لهذه العملية. ولا أدل على ذلك من كثرة التفاسير، وشروحات الحديث النبوي، بل وشروحات المتون الفقهية والنحوية، والدواوين الشعرية، وكذا الشروحات على الشروح.

ولذلك، نجد أنّ القدامى تتطرد عندهم آليات متداولة بين المفسرين، وعلماء الأصول، وغيرهم في البحث عن الدلالة القرآنية، مثل مصطلحات العام والخاص، والمطلق والمقيّد، والمفهوم والمنطوق، والدلالة القطعية، والدلالة الظنية، والتفسير، والتأويل، والحقيقة والمجاز، وغيرها. وكان مبحث المجاز من المباحث التي كثر الجدل حولها، ولايزال، بين المثبِتين له في اللغة والقرآن وبين النافين له في القرآن فقط. يشرحالسيوطي في النوع السابع والسبعين من علوم القرآن شروط التفسير وأدوات المفسر، وهي شروط موضوعية وأخرى نفسية.ويظهر من كلامه أن البحث عن دلالات الآيات يبدأ من القرآن نفسه؛ فما أُجْمِل في موضع فُصِّل في موضع آخر، على اعتبار أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، ثم ينظر في تفسير النبي عليه الصلاة السلام، وبعده في تفسير الصحابة، ثم معرفة علوم اللغة، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ وصحة الاعتقاد والمقصد...[8]. وكانت نظرتهم إلى النص القرآني تنصب حول البحث عن معانيه المودعة في ألفاظه، والكشف عن الدلالات المتوخاة من نظمه. ولذلك يتردد عندهم مثل قولهم:« التفسير علم يفهم به كتاب الله... وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريفوعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ »[9].أو قولهم:« التفسير علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب »[10].ومن ثَمَّفهم يرون المعاني مودعة في الألفاظ، ويرون مهمة العالم هي البحث عنهذه المعاني، واستخراجها، وتبليغها للمتلقي.

ويرىالعلماء ـ بناء على هذا ـ أن استخراج المعنى من آيات القرآن ليس بالأمر الهيّن، وأنه لا يحق الكلام في القرآن إلا لمن امتلك العُدة لهذا العمل الجليل، ومن كان كذلك فلا ضير إن أخفق في الوصول إلى المقصود. يقول الزرقاني في هذا المجال:«لا يقدح في العلم بالتفسير عدم العلم بمعاني المتشابهات ولا عدم العلم بمراد الله في الواقع ونفس الأمر

المنارة للاستشارات

».[11] وفي هذا القول تلميح إلى إمكانية مجانبة الصواب، وعدم الوقوف على المعنى النهائي لمدلولات الآيات. وقد وصف الله بعض الناس بأنهم علماء، وبأنهم راسخون في العلم، ولكنه لم يصفهم بأنهم محيطون بالعلم أبداً، بل ذكرهم بعكس ذلك فقال:{**ولا يحيطون بشيء من علمه**}(البقرة:255). وقال:{**وأنّ الله قد أحاط بكل شيء علماً**}(الطلاق:12).

ولذلك نجد العلماء يُحذِّرون من الخوض في كتاب الله بغير علم؛ أي دون امتلاك أدوات الاستقراء والبحث، ومثل هذا التحذير لا وجود له لمن يروم قراءة الكتب الأخرى.وذلك لأنّ القرآن الكريم كلام الله الموجّه إلى العباد كافة، يأمرهم وينهاهم، يعلّمهم ويخبرهم، ينبّههم ويحذّرهم. فإذا تصدى لتفسير القرآن مَنْ لا عُدّة له كان حريّ به أن يقع في الخطأ، والزلل، وسوء الفهم، ومن ثَمّ، يُخرِج الآيات إلى دلالات غير مقصودة. وقد قال الله تعالى في هذا الشأن:{**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**}(الإسراء:36).يقول الزركشي:« إن القرآن إنما أنزل بلسان عربي مبين في زمن أفصح العرب، وكانوا يعرفون ظواهره وأحكامه، أما دقائق باطنه فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر من سؤالهم النبي(ص) في الأكثر »[12]. ويضيف في موضع آخر:«ومعلوم أن تفسيره يكون بعضه من قبيل بسط الألفاظ الوجيزة، وكشف معانيها، وبعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض، لبلاغته ولطف معانيه، ولهذا لا يستغنى عن قانون عام يعوّل في تفسيره عليه،... من معرفة مفردات ألفاظه، ومركباتها، وسياقها، وظاهره، وباطنه، وغير ذلك »[13].

يتبيّن من كلام الزركشي، أن المعاني التي تُستنبط من آيات القرآن إنما تؤخذ من الألفاظ المفردة، ومن الجمل والتراكيب، ومن السياق العام للآيات، ومن كل ما يساعد على تقريب المعنى، وإظهار الدلالة.

وعلى منوال هذا الرأي، يقول باحث معاصر عن آليات البحث في الدلالة القرآنية بضرورة «مراجعة المواطن القرآنية التي وردت فيها المفردة التي يراد تفسيرها واستعمالاتها ومعانيها ودلالاتها»[14]. ويردف في الصفحة نفسها قائلاً:« هناك خصوصيات في الاستعمال القرآني، كاستعمال الريح للشر، والرياح للخير، والغيث للخير، والمطر للشر، والعيون لعيون الماء، والصوم للصمت، والصيام للعبادة المعروفة »[15]. وقال غيره:« ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن [الجوع] إلا في موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع، والعجز الظاهر؟ والناس لا يذكرون [السغب]، ويذكرون الجوع في حالة القدرة والسلامة »[16].ومنه، أيضا، أن لفظ "آية" - نكرة - قد ورد في القرآن أربعاً وثمانين مرة، كلها بمعنى "الآية الكونية"، أو "الآية المادية"، كما هو شأن "آية" صالح، و"آية" إبراهيم، و"آية"موسى، و"آية"عيسى عليهم السلام... وليس بمعنى الآية القرآنية النصية اللغوية. ولذلك رفض بعض العلماء مسألة النسخ انطلاقاً من مفهوم هذه الآية، وردوا على القائلين بهذا بأن مفهوم الآية،هنا، ليس النص القرآني.

ويقول باحث آخر:« ويمكن القول إن كلاًّ من علم الدلالة والبيان يهدف إلى معرفة المراد من النص القرآني، ولا يمكن فهم النص بعيداً عن علم الدلالة سواء كان النص قطعياً أم ظنياً في دلالته، كما أنه يستحيل التوفيق بين النصوص المتعددة في الموضوع الواحد دون تطبيق قواعد علم البيان - كما يسميه الأصوليون - التي يجب أن تسبق بإجراء قواعد علم

المنارة للاستشارات

الدلالة »[17]. لأنّ علم الدلالة ينظر إلى المعنى من جوانب عدة، لكي يتأكد من دلالته الدقيقة، غير البعيدة عن معاني ألفاظ المعجم المتعارف عليها عند الجماعة اللغوية.

1 ـ**إشكاليةالبحث عن المعنى**: بذل القدامى والمحدثون على اختلاف مشاربهم جهوداً جبارة في الكشف عن هذه المسألة في النصوص المقدسة، ثم في النصوص الأدبية والنصوص الفكرية والمعرفية على العموم، حتى صار لمسألة المعنى علم خاص بها هو علم الدلالة، الحديث الظهور نسبياً (يعود إلى نهاية القرن التاسع عشر)، نظراً لتعقيد قضية المعنى، وتجريدها في معظم الأحيان، واشتراكعدة علوم فيها. يقولباحث معاصر في ذلك:«إن اللغة تنتج المعنى بالقدر ذاته الذي ينتج المعنى اللغة... فإن المعنى لا يقوم في العقل أو الذهن فقط، ولكن في تلك المنطقة التي يلتقي فيها العقل بالبناء اللغوي، ولذلك فإنه من غير المجدي النظر إلى المعنى وكأنه شيء مخزون في الذهن »[18].وأصبح للبحث عن المعنى آليات جديدة، ونظريات متنوعة، كنظرية الحقول الدلالية، والنظرية السياقية، ونظريات القراءة والتلقي، ونظرية التأويل. وقيلت أشياء جديدة عن النص ومفهومه، وعن القارئ وأنواعه، وقيل عن الترجمة إنها خيانة للنص الأصلي، أما القراءة فقيل عنها إنها خيانة مبدعة للنص.[19]يقول محمد أركون في هذا الشأن:« وأعوص تلك المشاكل لا عند المسلمين فقط ولكن عند أهل الكتاب بصفة عامة، مشكلة التفسير والتأويل للنصوص المنزلة وما يترتب عليها من طرق الاستنباط عند الفقهاء لوضع أحكام الشريعة. ولا يخفى على مسلم واحد اليوم أن قضية التفسير والتأويل أصبحت أهم وأشد صعوبة وتعقيداً مما كانت بالنسبة إلى المنظومة المعرفية والأطر الاجتماعية للمعرفة والنضال الإيديولوجي في زمن الغزالي وابن رشد »[20].

ويقولباحث آخر:«فليس سراً أن لغة الخطاب العربي السائد قد انشطرت لغتين... لغة صارت خاصة بالحداثيين ومن هم في حكمهم.. وأخرى اقتصرت على التراثيين والدينيين ومن هم في حكمهم.. ولم يعد من السهل فهم أولئك للغة هؤلاء.. ولم تعد ثمة مرجعية مشتركة لا في المفردات والمصطلحات.. ولا في المفهومات وطبيعة الإشارات الفكرية... وصارت لكل "معسكر" منابره وكتبه ومراجعه وندواته التي نادراً ما يشترك فيها أو يفهمها أو يتذوقها أفراد "المعسكر" الآخر»[21].ويقول آخر داعياً الباحثين إلى ما أسماه "**بالتوبة المصطلحية**":« إنالغفلةعنهذهالحقيقةأحدثتأضرارًابالغة،منأخطارها:

عدمالالتزامبمصطلحاتالقرآنفيعددمنعلومالدين،واستعمالألفاظأخربدلامنها،لابدأنتحمل-

بحكمطبيعةالعلاقةبينالدالوالمدلولوالمصطلحوالمفهوم-

قدرًامنالتشوهأوالتشويه،فيفهمالدينوتبليغالدين.

لقدآنالأوانلتوبةمصطلحيةنصوحيردفيهاوبها،لمصطلحاتالقرآنالاعتبار،علىأساسأن"هذاالأمردين"»[22]. أما غيره من الباحثين فيرى عكس ذلك تماما، أمثال نصر حامد أبو زيد، وعمر عبيد حسنة وغيرهما.

فهل وصلتالقطيعة وعدم التفاهم، فعلاً، بين هؤلاء وأولئك إلى هذا الحد من التنافر وعدم الاتفاق حتى على أدوات قراءة القرآن، وآليات استنباط دلالاته؟ وما القصور الذي في آليات التحليل القديمة؟ وما النجاعة التي في آليات التحليل الحديثة ؟ وهل يمكن للدلالة القرآنية أن تتنوع وتختلف كل هذا الاختلاف والنص القرآني واحد لم يتغير منه حرف منذ نزوله إلى يوم الناس هذا؟

المنارة للاستشارات

إن الجواب عن كل هذه الأسئلة يمكن تلخيصه فيما يلي: إذا عرفنا ماهية القرآن الكريم، واتفقنا على المواضيع التي يتناولها، وعلى الأمور التي يدعو إليها، وإلى من يتوجّه بخطابه، اتّحدت آراؤنا، وتشابهت تفسيراتنا، وتقاربت أفكارنا، حتى وإن حدث بعض الاختلاف في الجزئيات التي لا تفسد للود قضية. ونعتقد أن هذا هو سرّ تشابه جلّ التفاسير التراثية حتى عصر النهضة العربية الحديثة« وذلك لأنّ مجال البحث واحد وهو كلام الله سبحانه وتعالى، والغاية التي يهدف إليها المفسر واحدة أيضاً وهي الكشف عن مراد الله سبحانه وتعالى من الآيات على قدر الطاقة البشرية، إلا أنّ مناهج المفسرين للوصول إلى الغاية هي التي تختلف بعض الشيء »[23].

وبناء على هذا، نودّ أن نعرض لمجموعة من الآليات التي نراها قادرة على فك شبكة الدلالة القرآنية، ومساعدة على الاقتراب من المفاهيم التي تقصدها الآيات، انطلاقاً من المبدأ الأساسي للخطاب القرآني، وهو هداية الناس إلى الحق والصواب والفلاح في هذه الدنيا التي تؤدي إلى الفلاح في الآخرة.

وبداية نذكر آليات القدامى المتفق عليها؛ ومن جملتها ـ كما أوردها الزركشي ـ معرفة مفردات ألفاظ القرآن، ومركباتها وسياقه، وظاهره، وباطنه، وغيرها. وكذا معرفة اللغة، والنحو والبيان، وأسباب النزول...إلخ. ومن جملة ما اعتمده الدارسون في ذلك دلالة الكلمة المعجمية، ودلالة الجملة، ودلالة السياق. وكان بعض المفسرين القدامى يكتفون بشرح معاني بعض المفردات ـ وهو ما يدعى عندهم بالغريب ـ

آليات استنباط الدلالة القرآنية:

هناك آليات متنوعة، لاغنى للدارس عنها، للكشف عن مدلولات الآيات القرآنية، ولا يضيرها قِدَمُها، ولا ينقص من فعاليتها في استكناه المعاني المقصودة من الخطاب القرآني، وبخاصة إذا عرفنا أن جلّ هذا الخطاب يتمركز حول ثنائية الأمر والنهي؛ أي "افعل" و"لا تفعل"، وما يتبعهما من جزاء. ومن هذه الآليات نذكر ما يلي:

أ ـ **معرفة اللغة العربية:** يقول الإمام الشاطبيفي هذا الشأن:«فَلَيْسَ بِجَائِزٍ أَنْ يُضَافَ إِلَى الْقُرْآنِ مَا لَا يَقْتَضِيهِ، كَمَا أَنَّهُ لَا يَصِحُّ أَنْ يُنْكَرَ مِنْهُ مَا يَقْتَضِيهِ، وَيَجِبُ الِاقْتِصَارُ فِي الِاسْتِعَانَةِ عَلَى فَهْمِهِ عَلَى كُلِّ مَا يُضَافُ عِلْمُهُ إِلَى الْعَرَبِ خاصة،فَبِهِ يُوصَلُ إِلَى عِلْمِ مَا أُودِعَ مِنَ الأحكام الشرعية، فمن طلبه بغيره مَا هُوَ أَدَاةٌ لَهُ، ضَلَّ عَنْ فَهْمِهِ، وتقوّل عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِيهِ»[24]. ويقول غيره:« ونعني بقواعد العربية: مجموع اللسان العربي، وهي متن اللغة، والتصريف، والنحو، والاشتقاق، والغريب، والإعراب، والمعاني، والبيان، والبديع. ومن وراء ذلك استعمالات العرب في كلامها، ووجوه مخاطباتها »[25].وهناك آليات حديثة يستعان بها في استنباط الدلالة القرآنية؛ كالإحصاء، ومعطيات علم اللغة الحديث، وعلم الدلالة...إلخ.وبشيء من التفصيل سنعرض لهذه الآليات فيما يلي:

1 ـ**معرفة النحو والصرف:**وهذا العنصر في غاية الأهمية في الدرس اللغوي والتأويل الدلالي، وسنورد بعض الآيات التي توضح لنا مكانة علم النحو والصرف بمفهومهما الواسع؛ أي انتحاء سمت كلام العرب، لنتبيّن شأن هذه الآلية في فهم المراد من الآية القرآنية. ولنأخذ ـعلى سبيل المثال ـقوله تعالى:﴿**وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا**﴾(المائدة:2)، وقوله:﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ**﴾(الجمعة:10)، وقوله كذلك:﴿**فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾(التوبة:129). والسؤال هو: هل يفهم من الشرط

المنارة للاستشارات

الوارد في هذه الآيات انتفاء الجزاء إذا غاب الشرط؟ وبأسلوب آخر: هل مطلوب من المتلقي(الحاجّ) أن يصطاد بعد التحلل؟ وهل يجب على جماعة المصلين الانتشار في الأرض بعد انقضاء صلاة الجمعة؟ وهل يتوقف الرسول (ص) عن قول "حسبي الله" إذا لم يتولّ الكفار ولم يتراجعوا عن غيهم؟ إن المعروف في النحو أن الأمر إذا ورد بعد شرط أفاد الإباحة لا الوجوب. وإن الشرط في الآية الثالثة يدعى "شرط الرواية"[26]، لا شرط الجزاء.

أما من حيث الصرف، فإن الصيغ الصرفية المختلفة للكلمة الواحدة قد يكون لها دور فعال في إثراء المعنى، وتدقيق الدلالة القرآنية. فصيغتا "صابر" و"صبّار" وردتا في القرآن في سياقات مختلفة، للدلالة على معانٍ خاصة في كل سياق. أما صيغة "صبور" فلم ترد في القرآن أبداً، إنما تعرف على أنها اسم من أسماء الله الحسنى، ولم ترد الصيغتان الأخريان اسماً من أسمائه تعالى، إنما وردتا صفات للمؤمنين، كما في مثل قوله عز وجل:﴿**وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾(إبراهيم:5). وقوله جل وعلا:﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾(لقمان:31). وقوله:﴿**فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾(سبأ:19). وقوله:﴿**إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾(الشورى:33). وهذه هي كل المواضع التي وردت فيها لفظة "صبّار"، ولم ترد إلا مقترنة بلفظة "شكور".

إنّ من الصيغ الصرفية ما يشرح المقصود، ويرفع اللبس عن المعنى، وبدون معرفة ذلك يؤدي إلى الزلل والغلط والوهم. من ذلك لفظة (فَرِحين) الواردة في قوله تعالى:﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ**﴾(القصص:76)، فهل يقصد منها مجرد الفرح؟ وأن الإنسان لا يحق له أن يفرح؟ أم أن للكلمة معنى خاصاً في هذه الآية؟ لقد ذكر المفسرون أن معنى الفرح هنا هو الفرح بكثرة المال بطراً وازهداء[27]. وهذه اللفظة تختلف عن مثيلتها الواردة في سورة آل عمران في قوله تعالى:﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾(169 -170)، في أن الأولى جاءت بصيغة الصفة المشبهة الدالة على الوصف الثابت، بينما الثانية وردت في موضع الحال التي عادة ما تأتي فضلة لوصف طارئ أو إضافي تتطلبه الجملة. ثم إن السياق، بعد هذا وذاك، مختلف في الآيتين، ففي الآية الأولى سياق ظلم قارون لقومه، وفي الثانية سياق وصف حال الشهداء في سبيل الله. ويعضد قولنا هذا، ورود كلمة (فرحون) ثلاث مرات في القرآن في سياقات متشابهة الدلالة، وفي كل مرة وقعت موقع الخبر، كقوله تعالى:﴿**إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ**﴾(التوبة: 50)، وقوله﴿**وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾(المؤمنون: 52-53)، وقوله أيضاً:﴿**وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾(الروم: 31-32).

2 -**معرفة الدلالة المعجمية**: وذلك باعتبار اللفظة اللبنة الأولى التي تتكوّن منها آيات القرآن، وتحمل دلالتهاالأولى أو الأصلية، وهي دلالة اللفظ من حيث اللغة، ومن حيث الاستعمال

المنارة للاستشارات

الشائع في المجتمع. وكذلك ضرورة معرفة الألفاظ الثابتة الدلالة عبر كل القرآن، وفي كل السياقات، بحيث لا يتغير معناها أبداً، ويصعب أن يخرج إلى معنى مجازي، كأسماء الحيوان؛ مثل بعوضة، نملة، كلب، هدهد، بقرة، فيل، ثعبان[28]...إلخ، فلم يعرف عن المفسرين من قال بغير المعاني الحقيقية لهذه الكلمات، وليس في سياقات القرآن ما يفيد غير ذلك، إلا ما عُرفعن بعض الدارسين القدامى - كغُلاة الشيعة - الذين فسروا كلمة "بقرة" بأنها "عائشة"، وفسّروا كلمتَيْ "اللؤلؤ والمرجان" بأنهما "الحسن والحسين" وغير ذلك من هذه التخريجات البعيدة عن صلب الدلالة اللغوية[29]. أو ما قاله بعض المتصوفة من أن معنى "فرعون" هو "القلب". وما رأيناهعند بعض المعاصرين الذين حاولوا تفسير القرآن تفسيراً (موضوعياً)، لا أسطورياً كما يقولون، ففسروا "الهدهد" بأنه لقب لقائد فرقة عسكرية في جيش سليمان عليه السلام، وليس الطائر المعروف عند الناس وعند علماء الحيوان. أو هو« إنسان كان يسمى الهدهد ويتولى رئاسة الشرطة السرية في حكومة سليمان عليه السلام »[30]. وكذلك الأمر في دلالة كلمة "نملة"، فهي ليست هذه الحشرة المعروفة، بل هي شخص أو إنسان حقيقي، ليس إلا، وهكذا فعلوا مع غيرها من الكلمات المشابهة[31].

إلا ما كان من كلمة "نعجة" الواردة في سورة ص، التي قال عنها بعضهم إنها كناية عن المرأة. لكن الألوسي - وبعد أن ذكر هذا التخريج لبعض المفسرين - قال بأنّ الصواب أن تكون النعجة هذا الحيوان المعروف. وقال الشعراوي في تفسيره:« كلمة نعجة تطلق في اللغة على ثلاثة إطلاقات: أنثى الضأن، أو الشاة الجبلية، أو البقرة الوحشية »[32].

وقد فطن ابن فارس إلى بعض المفردات التي ترد في القرآن بمعنى مطّرد حيثما وردت، إلا أنها تخرج في مرة واحدة - ونادراً مرتين - إلى معنى مخالف في سياق واحد فقط. فأحصى أربعاً وثلاثين مفردة؛ رتّبها بحسب ترتيبها في المصحف. غير أنّ الناظر في هذا العمل يجد أنّ المؤلف قد خرج ببعض المفردات إلى دلالة لم نعثر عليها في كل التفاسير؛ من ذلك شرحه مفردة "سكينة" التي في قوله تعالى:**{وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ}**(البقرة:248). فقال:« فإنه يعني شيئا كرأس الهرة، لها جناحان، كانت في التابوت»[33]. أما ابن عاشور فيقول:«وَالسَّكِينَةُ فَعِيلَةٌ بِمَعْنَى الِاطْمِئْنَانِ وَالْهُدُوءِ،وَذَلِكَ أَنَّ مِنْ بَرَكَةِ التَّابُوتِ أَنَّهُ إِذَا كَانَ بَيْنَهُمْ فِي حَرْبٍ أَوْ سِلْمٍ كَانَتْ نُفُوسُهُمْ وَاثِقَةً بِحُسْنِ الْمُنْقَلَبِ، وَفِيهِ أَيْضًا كُتُبُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهِيَ مِمَّا تَسْكُنُ لِرُؤْيَتِهَا نُفُوس الْأُمَّةِ وَتَطْمَئِنُّ لِأَحْكَامِهَا»[34].

وقد ذهب أحد الباحثين المعاصرين في كتابه "الكتاب والقرآن قراءة معاصرة"، هذا المذهب المخالف في تخريج دلالة بعض ألفاظ القرآن، فزعم أن ألفاظ: "قلم"، و"شهر" الذي في سورة القدر، و"بنون" و"نساء" اللذين في سورة آل عمران (آية 14)وغيرها ليست معانيهاتلك المتعارف عليها، إنما المقصود بها دلالات أخرى. فجعل "القلم" بمعنى التقليم والتمييز[35]، وجعل "الشهر" إشهاراً[36]، و"البنون" بنياناً، و"النساء" أشياء محدثة مستجدة من مصنوعات وغيرها، بمعنى النسيئة؛ أي الزيادة والتحسين في الأشياء وتطويرها[37]. ولسنا ندري كيف ساغ لهذا الباحث أن يُخرج اللفظ من معناه اللغوي الوضعي المتعارف عليه عند الجماعة اللغوية، إلى هذه المعاني المبتكرة على غير قياس؛ لا من سياق ولا من مجاز ولا من غيرهما؟ والقرآن الكريم يكرر في عشر آيات أنّ هذا القرآن نزل بلسان عربي مبين.

المنارة للاستشارات

ويبدو أن اللعب بدلالة الكلمات القرآنية، وإخراج بعض ألفاظ القرآن الكريم عن معهود العرب في كلامها، أمر قديم، استطابه المتصوفة وغيرهم من أهل الأهواء والنحل والملل، فقد فسر بعضهم﴿**طوبى لهم**﴾(الرعد:29) بأنها شجرة في الجنة. ورأى آخر أن معنى﴿**يزيد في الخلق ما يشاء**﴾(فاطر:1) هو حسن الصوت، و﴿**ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به**﴾(البقرة: 286) هو العشق[38]. وغير ذلك كثير.

وهذا الموضوع - في الواقع -محتاج إلى رافد يُعينه على ذلك؛ وهو رافد "عموم اللفظ"، الذي يقول أحدهمفيه:« تعميم اللفظ على عمومه الأعم دون تقييده بسياق الآية. إن هذه المسألة من المسائل المهمة... وهي مما يدخل ضمن موضوع الاستنباط؛ لأن فيها العبور عما سيق اللفظ أو الجملة فيه إلى معان تدخل فيهما بتجريدهما عن سياقهما الذي هما فيه. ويظهر أن القياس هو الذي يمثل هذه المسألة؛ لأن الخروج باللفظ أو الجملة عن سياقهما إدخال لصور لم يدلّ عليها ظاهر اللفظة أو الجملة في السياق...»[39]. ويوضح الباحث نتيجة هذا المنهج في التفسير، والتي تتمثل في إدخال أمور ومعانٍ ليس في حكم الآية، والاستشهاد بالآية على ما لم تنزل فيه، وتنزيل الآية على واقعة حدثت بعد نزول القرآن[40]. وفي كل ذلك نوع من التجنّي على الدلالات القرآنية، وتحميل النص القرآني أكثر مما تحتمل ألفاظه وجمله من معنى.

3-**معرفة المجاز والحقيقة**: تعتبر هذه المسألة من المسائل المختلف فيها، قديماً وحديثاً، بل تكاد تكون أهم مسألة في الدرس اللغوي والبلاغي.فالذين لا يرون في القرآن مجازاً، ويقولون كل ماورد فيه إنما على سبيل الحقيقة، لأن المجاز - بزعمهم -كذب وعجز، والقرآن منزّه عن ذلك كلّه. ولست أدري إن كان هؤلاء يقرّون بأن لفظ "أعمى" الوارد مرتين في سورة طه، هو بمعنى العمى الحقيقي الذي يصيب الإنسان في عينيه، أم هو شيء آخر؟ قال تعالى:﴿**وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا**﴾(الإسراء:72). فهل أعمى الدنيا، هو أعمى الآخرةبالضرورة أيضاً، ولو كان مؤمناً؟

إن مسألة المجاز في القرآن الكريم تبدو مسلّماً بها عند كثير من الباحثين؛ قديماً وحديثاً، ولا تحتاج إلى كبير عناء لنثبت صحتها؛ إذ طالما كانت الحقيقة تسير جنبا إلى جنب مع المجاز في كل اللغات. والخطاب القرآني مليء بالأساليب المجازية التي يفهمها العربي القديم، ونفهمها نحن الآن، ويفهمها غيرنا بعدنا على أنها مجاز لا غير، وإنّ فهمها على الحقيقة يؤدي إلى فساد كبير في المعنى.

4-**معرفة المتشابه من القرآن**: ويدخل تحته الآيات المفسرة لآيات أخرى في موضع آخر من القرآن، وهو تفسير النص القرآني بمثله، ومنه المتشابه اللفظي، ومنه القراءات المختلفة. فهذا كله يقرب المعنى ويجلي المقصود. ويدخل في هذا المجال، أيضاً، مصطلح "الغريب"، يقول باحث معاصر بخصوص أنواع تفسير القرآن:« بيان غريب الألفاظ: وذلك أن يرد في سياق لفظ غريب ثم يَذكر في موضع آخر معنى أشهر من ذلك اللفظ، ومثاله قوله تعالى:﴿**فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ**﴾. وفي موضع آخر قال عز من قائل:﴿**لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ**﴾، والآيتان وردتا في شأن قوم لوط عليه السلام »[41]. ومنه ما يكون في الوجوه والنظائر الذي يقول فيه ابن الجوزي:« أن تكون الكلمة الواحدة ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد، وحركة واحدة، وأريد بكل

المنارة للاستشارات

مكان معنى غير الآخر، فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر »[42].

5- **معرفة الدلالة السياقية:** ويعرّفها أحد الباحثين بقوله:« المقصود بالسياق التوالي، ومن ثَمّ يمكن أن ننظر إليه من زاويتين: أولاهما توالي العناصر التي يتحقق بها السياق الكلامي، وفي هذه الحالة نسمي السياق "سياق النص". والثانية توالي عناصر الأحداث التي هي الموقف الذي جرى فيه الكلام، وعندئذ نسمي السياق "سياق الموقف"»[43]. فكثير من الألفاظ اللغوية تكون حاملة معنى متعارفاً عليه، لكنها في سياق ما، وفي موقف خاص، يتغيّر معناها الأصلي إلى معنى ثانوي، أو معنى جديد. وإذا تكررت في القرآن بالمعنى الجديد، فتأخذ بالضرورة ذلك المعنى وكأنه هو الأصل، والحقيقة، وغيره هو الفرع والمجاز، أو ما شابههما.

فإذا أُريدَ تفسير هذه الآية﴿**ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**﴾(الدخان:49)، وجب العودة إلى السياق السابق لهذه الآية، وإلى ما بعدها، لمعرفة أنّ عبارة ﴿**الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**﴾ قد وردت في مقام التوبيخ والتعنيف، لا في مقام التكريم والتشريف. ويدل على ذلك الآيتان السابقتان لها مباشرة وهما﴿**خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ**﴾(الدخان:47 -48).

ومن ذلك لفظة "الرقبة"، فإذا كانت مفردة فهي لا تعني الرقبة؛ العضو الذي يحمل الرأس؛ رأس كثير من المخلوقات، من إنسان وحيوان، إنما تعني تحرير العبيد، وفكّ أسرهم. أما إذا وردت بصيغة الجمع، أي رقاب، فتدل اطّراداً على معنين اثنين هما: تحرير العبيد، والضرب بالسلاح في المعارك. من ذلك قوله تعالى:﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ**﴾(البلد:12 -13). وقوله أيضا:﴿**وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ**﴾(المجادلة:03).وقوله:﴿**وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ**﴾(البقرة:177). وعبارة ﴿**وَفِي الرِّقَابِ**﴾ تعني تحرير العبيد من الرق والأسر. وقوله أيضاً:﴿**فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ**﴾(محمد:04). أي فاقلتوهم، بدلالة المصدر "فضرْب". ولذلك لا يتضح المعنى بجلاء إلا من خلال النص الكامل، لا من بعضه، وهذا ما تحاول لسانيات النص تقديمه بديلاً عن لسانيات الجملة.

والدلالة السياقية لا تكون إلاّ منسجمة ومتسقة مع دلالة الألفاظ المفردة؛ أي لا يخرج اللفظ عن دلالته الوضعية دون رابط بين دلالته المعجمية ودلالته السياقية الجديدة، إنما تنطلق الدلالة السياقية من المعنى المعجمي للفظ أولاً، ثم ينظر إلى الخيط الذي يجمع بين الدلالتين. وللسياق اعتبارات كثيرة ومتنوعة، نحوية وغير نحوية[44]، و« قرينة السياق هذه هي كبرى القرائن النحوية لأنها قد تعتمد على شيء من هذه القرائن النحوية المفردة أو تتجاوزها إلى أمور دلالية من العقل أو من المقام المحيط بالجملة »[45]. وذلك أنّ السياق أحيانا يستعمل في دلالة أوسع من السياق اللغوي، فيتعدى إلى المقام بمختلف أحواله. كما في قوله تعالى:﴿**قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ**﴾(النمل: 39)؛« إذ يصلح لفظ "آتيك" أن يكون مضارعاً ناصباً لمحل الكاف، وأن يكون اسم فاعل مضافاً إلى الكاف »[46]. ومع ذلك فالمعنى واحد في دلالته على القدرة الخارقة والسرعة في القيام بهذا العمل المستحيل على عامة الناس، وهو نقل عرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين في وقت

وجيز جدا، بدلالة السياق التالي لعبارة ﴿**أَنَا آتِيكَ بِهِ**﴾ في قوله تعالى:﴿**قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ**﴾، أو قوله كذلك:﴿**قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**﴾.

ب-**معرفة الدلالة العرفية**: ونقصد بها تلك الدلالة الاجتماعية أو الدينية التي كان يتعارف بها أصحاب اللغة في الجاهلية ويفهمونها على أساسها، لأنها متصلة بحياتهم اليومية مباشرة[47]مثل كلمات: البَحِيرة والوصيلة والسائبة والحام، في قوله تعالى:﴿**مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**﴾(المائدة:103)[48]. أو كلمات: ود وسواع ونسر ويعوق ويغوث وبعل، في قوله عز وجل:﴿**وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا**﴾(نوح:23). وفي ذلك يقول تمام حسان:« حين نقرأ قوله تعالى:﴿**وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾(النور:33) نحتاج إلى معرفة عادات بعض السادة من العرب لئلاَ نظن أن المقصود بالفتيات بناتهم من أصلابهم. فلقد كان مما يستسيغه بعض السادة كعبد الله بن أبيّ أن يُكره جواريه على التكسب بالبغاء ليحصل هو على هذا الكسب، وعلى ما يكون نتيجة للزنى من ولد. وكانت له جاريتان يرغمهما على ذلك، فشكتاه إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فكان ذلك من أسباب نزول الآية»[49].

وتحت هذا المبدأ نجد أخبار العرب التي يقول فيها الطاهر بن عاشور:« وأما أخبار العرب فهي من جملة أدبهم وإنما خصصتها بالذكر لمن يتوهم أن الاشتغال بها من اللغو فهي يستعان بها على فهم ما أوجزه القرآن في سَوْقها، لأن القرآن إنما يذكر القصص والأخبار للموعظة والاعتبار... فبمعرفة الأخبار يعرف ما أشارت إليه الآيات من دقائق المعاني، فنحو قوله تعالى:﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا**﴾، وقوله:﴿**قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ**﴾ يتوقف على معرفة أخبارهم عند العرب »[50].

ج-**معرفة أسباب النزول**: بحيث لا يمكن الوصول إلى معنى الآية إلا بالوقوف على سبب النزول، ومهما حاولنا إيجاد المعنى المقصود والمفهوم عن طريق الدلالة المعجمية وحدها، أو دلالة السياق، أو غيرهما، فإننا واجدون أنفسنا عاجزين عن إدراك المقصود إلا إذا استخدمنا آلية سبب النزول، كما في قوله تعالى:﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا**﴾(البقرة:189). فما المقصود بعبارة﴿**وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا**﴾؟ وما علاقة البرّ بدخول البيوت من غير أبوابها؟ ومن هذا الذي يدخل بيته من غير بابه؟ وما غرض ذلك؟ هل يمكن فهم هذا كله من معرفة دلالة المفردات فقط؟ أو من السياق وحده؟ إذن ما علاقة الأهلة بدخول الناس بيوتهم؟ والجواب على ذلك هو ما كانت تفعله العرب في جاهليتها عند عودتها من الحج، بحيث كان الرجل منهم لا يدخل بيته من بابه، بل يقفز فوق السور إن كان بيته من حجر، أو يدخل من خلف الخيمة إن كان من سكان الوبر، حتى إنه ليحدث فيها شقّا يدخل منه إذا لزم الأمر[51]. وكيف نفهم مدلول هذه الآية أيضاً﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾(المائدة:69)؟ فهل لهذه الأصناف المذكورة في الآية نفس المكانة التي للمؤمنين من المسلمين، سواء بسواء؟ولماذا؟ لنسمع قول القرطبي:« روي عن ابن عباس أن قوله:﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا﴾ [الحج:17] الآية. منسوخة بقوله تعالى:﴿

المنارة للاستشارات

ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه﴾ [آل عمران:85] الآية. وقال غيره: ليست بمنسوخة. وهي فيمن ثبت على إيمانه من المؤمنين بالنبي عليه السلام »[52].

د-**معرفة السياق الموضوعاتي**: وهو ما عناه بعض المعاصرين المشتغلين بحقل الدعوة عموماً كالشيخ الغزالي رحمه الله، ودعا إليه وسماه "التفسير الموضوعي"؛ ويقصد به أن يفسر القرآن بحسب الموضوعات المعالجة فيه، أي أن تجمع كل الآيات التي تخص موضوعاً معيّناً، ثم يستنبط منها المعنى الكلي الشامل لهذه الآيات، ويُعرَف الخيط الذي يربطها جميعاً،أو« يتناول السورة كلها يحاول رسم "صورة شمسية" لها تتناول أولها وآخرها، وتتعرف على الروابط الخفية التي تشدها كلها، وتجعل أولها تمهيداً لآخرها، وآخرها تصديقاً لأولها »[53]. وإلى مثل هذا المعنى ذهب أحد المعاصرين أيضاً[54]،وذلك حتى لا تتشعب التفاسير، وتُضرَب دلالة آية بدلالة أخرى، وقد تكون مناقضةلآية أخرى؛ وهما من موضوع واحد. فإنه لا يمكن أن نجد آية منفردة وحدهاتخالف تحريم الربا، أو الخمر، أو السرقة،من ضمن آيات كثيرة تحرم هذه الأمور، أو أن نجد نصاً قرآنياً يخالف فرض الصيام أو الصلاة أو الزكاة، وغيرها من الأحكام. ولا نجد كذلك -حتى في القصص القرآني-ما يخالف الاعتقاد في كون إبليس ليس عدواً لآدم عليه السلام، ولا عدواً لذريته أيضاً. ونجد الصورة نفسهاعما هو معروف في القصص المكرر عن بني إسرائيل، مثلاً، وعن محاربتهم لأنبياء الله، وكثرة جدالهم واختلافهم عليهم، بل ومحاولة قتلهم أحياناً. فأين نجد أن إبليس كان حيادياً إزاء آدم، وإزاء أكله من الشجرة؟ وما هي الآية التي تقول إن بني إسرائيل كانوا يحترمون أنبياءهم ويتبعونهم؟ وأين هي الآية التي تبيّن أن اليهود كانوا يحفظون العهود والمواثيق؟

إننا نقول هذا الكلام، لأن هناك من قال بمثل هذه التخريجات المخالفة للنسق الدلالي القرآني العام، فأخرج دلالة بعض ألفاظ القرآنمثل "البنون"، و"النساء"، و"القلم"، و"الشهر" إلى دلالات لا تتوافق مع السياق الموضوعاتي[55]، إذ جعل "البنون" بمعنى البنيان، والمعروف في كل القرآن الكريم أن لفظ "بنون" أو "بنين"، إنما ورد في موضوعين اثنين هما؛ الحقل الاجتماعي والحقل العقائدي،وقد ورد هذا اللفظ في سياقات تدل دلالة قاطعة على أنهجمع "ابن" لا غير. وكذلكالأمر إذا نظرنا إلى الكلمات التي عطف عليها، كما في هذه الآيات:﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾(الكهف:46)، و﴿**فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ**﴾(الصافات:149)،﴿**أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ**﴾(الطور:39)، ﴿**يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ**﴾(الشعراء:88)، ﴿**أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ**﴾(الزخرف:16)، ﴿**أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ**﴾(الصافات:153)، ﴿**أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا**﴾(الإسراء:40)، ﴿**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً**﴾(النحل:72)، ﴿**وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ**﴾(الأنعام:100) إلخ... فما الذي يجعل البنين - بعد هذا -بمعنى البنيان؟ والقرآن نفسه استخدم لفظ "البنيان" ولفظ "بناء" لمّا دعت الحاجة إلى دلالة البنايات والبيوت والديار والمساكن إلخ... وقد ورد لفظ "البنيان" ثلاث مرات، وورد لفظ "البناء" مرتين، ولم يرد إلا نكرة، وذلك في قوله تعالى:﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً**﴾(البقرة:22). وفي قوله:﴿**اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً**﴾(غافر:64). أما لفظ "البنيان" فورد في قوله تعالى:﴿**لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ**﴾(التوبة:110)، و﴿**قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ**

المنارة للاستشارات

قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ﴾(النحل:26)، و﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾(الصف:4)**. ولا حاجة لنا في تفسير معاني هذه اللفظة، وسياقات الآيات- من حيث النحو والموضوع -دالة على معنى ثابت موحّد، هو ما يتخذه الإنسان للسكن والمأوى كيفما كان شكلهما ونوعهما.

ه-**معرفة المبدأ العام للخطاب القرآني**: إن القرآن كتاب هداية أولاً وأخيراً، أي أنه لا يأمر إلا بخير، ولا يدعو إلا لمصلحة، ولا ينهى إلا عن شر، ورذيلة.وما ينبغي لله تعالى أن يفعل عكس ذلك أبداً، ولهذا وبّخ ونعى على الذين افتروا عليه سبحانه، وردّ عليهم بقوله عز وجل:﴿**وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾(الأعراف:28).فكأن الله ينبّههم على حقيقة كبرى تخص ذاته العليا، مفادها أنه ليس من شأن الله تعالى، ولا من حكمته أن يأمر بغير الخير والفلاح والصلاح والتقى، لأن من عرف الخالق، عرف صفاته،« هذا إلى أنّ القرآن كله، ما هو إلا دعوة طيّبة لأهداف طيّبة، لا محل فيها إلى خبث ورجس »[56]. وهناك آيات كثيرة تدعم هذا المبدأ، وردت بأسلوب واحد مثل قوله تعالى:﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾(البقرة:222)، وقوله:﴿**إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ**﴾(الحج:38)، وقوله أيضاً:﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾(البينة:6 -7)، وقوله كذلك:﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾(النحل:90)**. ونلاحظ أن هذه الآيات قد سبقت بأداة توكيد في أسلوب خبري طلبي كما يقول البلاغيون، مما يعني أن دلالاتها من باب التأكيد على حقائق واقعية صادقة، فهي كالقانون الثابت، وكالقاعدة المطّردة، كما في آيات أخر من مثل:﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**﴾(آل عمران:19)، و﴿**إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾(العصر:2)، ﴿**وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ**﴾(الذاريات:6) وغيرها. ومن ثم يسهل فهم الآيات التي يستشكل مدلولها بردها إلى هذا المبدأ، وقد وضع القدماء مبدأ "رد المتشابه إلى المحكم" إذا استشكل عليهم الأمر في فهم آية من الآياتالمتشابهة.

و-**معرفة الاطرادات الأسلوبية**: أو عادات القرآن في كلامه - كما يسميها ابن عاشور -أي أن القرآن الكريم يستخدم ألفاظاً مرات عديدة في سور شتى، وتكون دلالاتها واحدة في كل مرة، ومن ثم يستطيع الباحث والقارئ والمؤوّل أن يقطعوا بثبات دلالاتها، وعدم خروجها إلى دلالات تناقض الاطراد الدلالي الوارد في باقي الآيات التي جاءت فيها تلك اللفظة.مثل الكلمات التالية: الله، رب العالمين، الإسلام، الجنة، النار، جهنم، المؤمن، الكافر، الرجال، النساء، الزوج، الفقير، المسكين...إلخ.أو أن ترد اللفظة بعينها في السور المكية، بمعنى معين، ثم ترد في السور المدنية بمعنى آخر، أو أن ترد اللفظة في السور المكية ثم تختفي في السور المدنية، والعكس. إلا أن يحدث استثناء خاص يسوّغه السياق اللغوي، فتخرج اللفظة عن معناها المطّرد إلى معنى خاص استثنائي، مثلما فعل ابن فارس في كتابه "أفراد كلمات القرآن العزيز" حيث عدّ أربعاً وثلاثين كلمة وردت بمعنى واحد حيث وقعت في القرآن، ما عدا موضعاً واحداً جاءت فيه تلك الكلمات بمعنى مخالف؛ من ذلك أن لفظة "البروج" تعني الأبراج السماوية حيثما وردت في القرآن، إلا في قوله تعالى:﴿**أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ**﴾(النساء:78)فهي القصور[57].وأنّ لفظة "الصلوات" تعني الدعاء

المنارة للاستشارات

أو الصلاة المفروضة حيثما وقعت في القرآن، عدا تلك الواردة في قوله تعالى:﴿**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ**﴾(الحج:40)، فهي أماكن العبادة. وهكذا فعل مع باقي الكلمات التي تشبه حالة لفظتيْ "البروج" و"الصلوات".

ولذلك يرى فاضل السامرائي ضرورة مراجعة المواطن التي وردت فيها المفردة التي يراد تفسيرها واستعمالاتها ومعانيها ودلالاتها، وكذا النظر في تغيير المفردة كالإبدال نحو (يطّهّر) و(يتطهّر)، و(يذّكّر) و(يتذكّر)، والذكر والحذف مثل: (تذكّرون) و(تتذكّرون)، و(يستطع) و(يسطع). وتغيير الصيغة نحو: مغفرة وغفران، وعدوان وعداوة، ونخل ونخيل. والإدغام والفك نحو: (من يرتدّ) و(من يرتدد)، و(يشاقّ) و(يشاقق) إلخ... إذ لا يخلو ذلك من فائدة ومعنى(58).

هذا،في الألفاظ المفردة، ولا يختلف الأمر كذلك فيالتراكيب والأساليب، إذ يتكرر في القرآن أسلوب{**يا أيها الذين آمنوا**}، وأسلوب {**إنّ الذين آمنوا**}، ويأتي بعد الأسلوب الأول أمر أو نهي، أما الثاني فيأتي بعده وصف للمؤمنين، ووعدهم بالنعيم. أما إذا كان الأسلوب {**إن الذين كفروا**}، و{**الذين كفروا**}، فيأتي بعدهما وعيد للكافرين، وتقريع لهم، ووصف لأعمالهم المشينة. والأمثلة على ذلك كثيرة جداّ تفوق الحصر، من ذلك قوله تعالى:﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾(البقرة: 39)، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ**﴾(المائدة:52)، ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾(البينة:7)، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾(التحريم:07)،﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ**﴾(البينة:6).

ز-**الاستعانة بعلم الإحصاء**: لقد بات الإحصاء من الآليات التي دخلت كل مجالات الحياة، وكل العلوم والمعارف، وبه يتم تحديد الموضوعات أكثر، والمجالات المعرفية، وراح الباحثون والنقاد يحصون مفردات الدواوين الشعرية، ويصنفونها ضمن حقول دلالية خاصة، ليقتربوا أكثر من المضامين الشعرية المحددة لنسق شعري ما، في عصر ما، أو لشاعر معيّن. وكان القرآن الكريم أول الموضوعات التي بدئ فيها التصنيف الإحصائي، ولا يزال، من مثل مفردات القرآن، وغريب القرآن، وأفراد كلمات القرآن، وكلمات قرآنية لا نستعملها... إلخ. و« وسوف تشهد السنوات القادمة دراسات لغوية معمقة لم يكن لها أن تتم قبل توظيف الحواسيب الإلكترونية في خدمة البحوث اللغوية، وسوف يكون بالإمكان إعادة النظر في قاموس ألفاظ اللغة لنرتقي بما ينبغي أن الرقي به من ناحية، ولنعيد إلى الاستعمال ألفاظاً بعُدت عنه في فترة من الفترات »(59).

أما ألفاظ القرآن الكريم، فإحصاؤها يحمل الباحث على التأكد من اطّراد دلالتها، ومن ثَمّ يكون لديه حجة ودليل على صرف اللفظ عن دلالته الوضعية، أو إبقائه عليها. ومثالنا في ذلك قضية النسخ في القرآن التي ينكرها بعض الدارسين؛ قديماً وحديثاً، والذين انتصروا لعدم ورود النسخ في القرآن، اعتمدوا الإحصاء، فرأوا أن كل ما ورد من لفظ "آية" بصيغة المفردلا تعني الآية القرآنية النصية، إنما تعني الآية الكونية، من جبال وبحار وأفلاك ونجوم ومعجزات الرسل والأنبياء...إلخ. ولعل هذا التخريج صحيح إذا ما استعرضنا هذه الآيات التي تبلغ 84آية، كلها تطرد في معنى الآية الكونية، أو المعجزة، إلا ما ورد في سورة البقرة﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ**

المنارة للاستشارات

قَدِيرٌ﴾(آية:106). لكن هذه الآية تتحدث عن تغيير القِبلة، والسياق القرآني السابق واللاحق للآية يدل على ذلك، فهو في معرض الحديث عن أهل الكتاب، لاسيما اليهود، والرد على أقوالهم وغمزاتهم في رفض تحويل القِبلة(60). فالنسخ، هنا، نسخ شريعة أهل الكتاب السابقة بالشريعة الإسلامية الجديدة. وإن كان للشيخ محمد عبده والشيخ محمد الغزالي رحمهما الله رأياً مخالفاً لهذا التفسير، فهما يُقرّان بأنّ الآية في ذلك الموضع من سورة البقرة، تعني ما يؤيد الله تعالى أنبياءه من الدلائل، يعني أنها ليست الآية القرآنية اللغوية(61).

ح-**الجمع والترجيح بين الآليات**: ومعنى ذلك أنّ مفسر القرآن لا يسير سيراً أحادياً، متخذاً آلية واحدة فقط في البحث عن دلالة الآيات، ففي كثير من الأحيان يمزج بين هذه الآليات، بحسب ما يتطلبه الوضع الخاص بكل آية، مع ترجيح الداعي الأقوى، والأصلح لتحديد الدلالة الأقرب إلى المقصود. ومن بين هذه الآليات في تفسير الآيات، نجد تفسير القرآن بالقرآن، لأنه لا يناقض بعضه بعضاً، بل يشرحه ويبيّنه، لاسيما إذا اختلفت القراءات القرآنية المعروفة. فالذين أكدوا - على سبيل المثال - إمكانية رؤية الله تعالى يوم القيامة اعتمدوا القراءة الثانية من قوله تعالى:﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا**﴾(الإنسان:20)، حيث وردت لفظة "مُلْكاً" في رواية أخرى بصورة "مَلِكاً"، ومن ثَمّ دلت على ذات الله تعالى، وعلى إمكان رؤيته يوم القيامة.

ومن آليات البحث في دلالات الخطاب القرآني أيضاً، آلية المناسبة بين الآيات، وهي الآلية التي تشرح السياق بوصفه كلاًّ متكاملاً، غير مجزوء، ولا مقطوع بعضه عن بعض. فلا بد من النظر إلى السياق العام، وإلى شكل المناسبة بين الآيات المكوِّنة له،وإلى الموضوع المتحدث عنه، وهو ما يطلق عليه في لسانيات النص بالاتساق والانسجام. فنرى، مثلاً، كيف ذهب محمد عبده في تفسيره آية النسخ التي اعتمدها كثير من العلماء، مخالفاً الرأي المتعارف عليه منذ قرون، حيث يقول:« ولقد كان من اليهود من يشك في رسالته عليه السلام بزعمهم أن النبوة محتكرة لشعب إسرائيل... فردّ الله تعالى عليهم في مواضع... منها هذه الآيات... كأنه يقول: إنّ قدرة الله ليست محدودة، ولا مقيّدة بنوع مخصوص من الآيات، بل الله قادر على أن يأتي بخير من الآيات التي أعطاها موسى، وبمثلها»(62). وذلك حين قال اليهود: لولا أوتي محمد مثل ما أوتي موسى من الآيات. وقد وافق الشيخ محمد الغزالي على هذا التحليل، ثم ذكر سبب ذلك بكون التعقيب الذي ورد في آخر الآية وهو:﴿ألم تر أنّ الله على كل شيء قدير﴾ يتناسب وينسجم مع ذلك المفهوم، ولو كان الأمر شرعياً لقال: إن الله عليم حكيم، حيث فيه تبديل حكم بآخر، ولكن الوضع غير ذلك، لهذا عقّب بذكر قدرة الله لا حكمته(63).

وبالجملة، فإن القرآن الكريم - باعتباره نصاً فريداً معجزاً- تتعاون في تفسير مراد آياته ومقاصدها أمور نصية لغوية، تنبغ من النص نفسه، وأمور خارج نصية، غير لغوية. فالأمر الأول متاح إلى حد كبير لكل من له مقدرة، ودراية باللغة العربية، وطريقة اشتغالها، أما الأمر الثاني فيقتصر على الذين لهم معرفة واسعة بالتاريخ والاجتماع والوقائع المختلفة. وفي كلتا الحالين لا محيد عن معرفة الأسس الكبرى التي تنطوي عليها نصوص القرآن الكريم بصورة عامة، لكي نقترب من الدلالات المقبولة والصحيحة، فلا يفسّر القرآن بما لا يقبله نسق خطابه، أو تحمّل الآيات فوق طاقتها؛ من معانٍ تخالف الخط العام الذي يرسمه القرآن نفسه في خطابه للناس.

المنارة للاستشارات

الهوامش:

[1]- الفيلولوجيا علم تاريخي يهدف إلى معرفة الحضارات الغابرة بواسطة دراسة ما تخلّف من وثائق مكتوبة. يراجع: سالم شاكر، مدخل إلى علم الدلالة، ص 72.

[2]-محمد أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، تر: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت ـ المركز الثقافي العربي الدار البيضاء: ط2، 1996 هامش ص 245

[3] ـ طه عبد الرحمان، الحوار أفقاً للتفكير، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2013، ص 160.

[4]- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، د.ط، 1995، ص 317.

[5]- بسام قطوس، إستراتيجيات القراءة، التأصيل والإجراء النقدي، دار الكندي للنشر والتوزيع، د.ط، 1998، ص 11.

[6] - المرجع نفسه، ص 13.

[7]- ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، 2006، فصل علم التفسير، ص 22.

[8]- يراجع: جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د. ط، ج2، ص 175 ـ 177

[9]- ينظر الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص 174.

[10]- ينظر المرجع نفسه، ج2، ص 174.

[11]- عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار السلام الطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط3، 2010، مجلد 2، ص381.

[12]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص 23.

[13]- المرجع نفسه، ص 24.

[14]- فاضل صالح السامرائي، على طريق التفسير البياني، جامعة الشارقة، 2002، ج1، ص 12.

[15]- المرجع نفسه، ص 12.

[16]- عبد الفتاح لاشين، صفاء الكلمة القرآنية، دار المريخ للنشر، الرياض، 1983، ص 61.

[17]- عماد الدين محمد الرشيد، أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، دراسة مقارنة بين أصول التفسير وأصول الفقه، دار الشهاب 1999، ص 5.

[18]-علي مبروك، النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ،دار التنوير للطباعة للنشر والتوزيع، ط 1، 1993، بيروت، لبنان، ص12.

[19]- المرجع نفسه، مقدمة الكتاب.

[20]- محمد أركون، أين الفكر الإسلامي المعاصر، تر: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت لبنان، ط 21995، ، ص 2 من المقدمة.

[21]- محمد جابر الأنصاري، رؤية قرآنية للمتغيرات الدولية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الشروق، ص 7.

[22]- الشاهد محمد البوشيخي،نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المُعرّفة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ط1، 2003، ص 3.

المنارة للاستشارات

23- مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم دمشق، ط6، 2009، ص 52.
24- الشاطبي، الموافقات، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمانج 2، ص 130 - 131.
25- طاهر محمد محمود يعقوب، أسباب الخطأ في التفسير، دراسة تأصيلية، دار ابن الجوزي، للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 1425 هـ، (2005 م) ص 216.
26- صالح فاضل السامرائي، الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2000، ص66-67.
27- ينظر:الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مجلد 20، ص 178.
28- ينظر: فهد بن عبد الرحمان بي سليمان الرومي، تحريف المصطلحات القرآن وأثره في انحراف التفسير في القرن الرابع عشر، ط1، 2003، ص81.
29- ينظر المرجع نفسه، ص 12.
30- المرجع نفسه، ص 81.
31- يمكن مراجعة موقع: islamahmadiyya.net أرشيف، للاطلاع على هذه التأويلات.
32- تفسير الشعراوي، أخبار اليوم، قطاع الثقافة، د. ت، د. ط. ص 12908.
33 - ابن فارس، أفراد كلمات القرآن العزيز، ص 12. وقد أنكر الألوسي هذا التأويل. ينظر، الألوسي، روح المعاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى،1415 هـ،ج1، ص 560.
34- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص 493.
35- ينظر: محمد شحرور، الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، الأهالي للطباعة والنشر، سوريا، د. ت، ص 292 - 293 .
36- ينظر: المرجع نفسه ص 205 وما بعدها
37- ينظر المرجع نفسه، ص 641 وما بعدها.
38- يراجع: التهامي نقرة، منهجية التجديد في التفسير، ملتقى القرآن الكريم، محاضرات الفكر الإسلامي، الجزائر 1981، ج2، ص55.
39- مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار المحدّث، الرياض 1425 هـ، ط1، ص 30 - 31.
40- ينظر: المرجع نفسه، ص 30.
41- مساعد بن سليمان الطيار، فصول في أصول التفسير، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام ، ط2 1997، ص 25.
42- عبد العال سالم مكرم، المشترك اللفظي في الحقل القرآني، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1996، بيروت، ص 55.
43- تمام حسان، اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2007، ص 237.
44- ينظر، تمام حسان، من روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1993، الفصل السابع، ص 211 وما بعدها.
45- تمام حسان، من روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، ص 212.
46- المرجع نفسه، ص 211.

المنارة للاستشارات

47- وقد سمى حسان تمام هذه الآلية بالسياق الواقعي، وأدخل فيه العُرفي، والتاريخي، والجغرافي، والتداولي. ينظر كتابه: اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2007، ص 248.
48- البحيرة والوصيلة والسائبة والحام، نوع من الأنعام كان يهمل ولا ينتفع به، رعاية لتعظيم الأصنام بزعم العرب.
49- تمام حسان، اجتهادات لغوية، عالم الكتب، ط 1، القاهرة 2007، ص 248.
50- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس 1984،ص 25.
51 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964 م، ج1، ص 436.
52- ينظر، الواحدي، أسباب النزول، تح: ماهر ياسين الفحل. دار الميمان للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 2005، ص 162.
53- محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، ط 4، 2000، ص 5.
54- ينظر: محمد التومي، الجدل في القرآن الكريم، شركة الشهاب - الجزائر، د ط، د ت، ص 5.
55- ينظر: محمد شحرور، الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، ص 205، 292، 641.
56- عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: أحمد عيسى المعصراوي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، ط3، 2010، مجلد2، ص 623.
57- ينظر: أحمد بن فارس، أفراد كلمات القرآن العزيز، تح: حاتم صالح الضامن، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق سورية، ط 1 ، 2002، ص 9 وما بعدها.
58- يراجع: فاضل صالح السامرائي، على طريق التفسير البياني، جامعة الشارقة، 2002، ج1، ص 12- 13.
59- محمد الجوادي، كلمات القرآن التي لا نستعملها، دراسة تطبيقية لنظرية العيّنات اللفظية، دار الشروق، ط2، 1997، ص 8.
60- ينظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص 456.
61- ينظر: محمد الغزالي، نظرات في القرآن، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط6، 2005، ص 200 وما بعدها.
62- محمد الغزالي، نظرات في القرآن، ص 205.
63- ينظر: المرجع نفسه، ص 203.

المنارة للاستشارات